سيد قطب ملحداً

انبرت في الآونة الأخيرة ولسبب ما غير خفي على من له أدنى إلمام بما يدور في الساحة العربية والإسلامية أقلام مأجورة مسيحية ومسلمة (!!!) باتهام الشهيد سيد قطب بالإلحاد وأنه ينادي بعقيدة وحدة الوجود والحلول والجبر وأنه يدافع عن عقيدة النيرفانا الهندوكية البوذية.

هذا الكلام يردده العلمانيون في مواقعهم الإليكترونية وتلقفه منهم عُباد الصليب فراحوا ينشرونه على البريد الإليكتروني للمسلمين بالإضافة إلى تثبيته على مواقعهم الإليكترونية، مما دفع بعض الأقلام المسلمة الحاقدة أمثال الشيخ " ربيع بن هادي المدخلي " أن تتلقف ما قالوا وراحوا يروجون له ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والرسالة من بريدي الإليكتروني وصلتني من أحد القساوسة الكبار بعثها إلي بها شاماتاً.. أثبتها كما هي مشفوعة بالرد عليها:

سيد قطب ....ملحداً

أطوار سيد قطب في وحدة الوجود:

أولاً ــ نعق بها وهو في سن الكهولة في حدود عام ١٩٣٥م أي في حدود١٣٥٥ هـ في ديوانه الشعري حيث يقول في قصيدته إلى الشاطئ المجهول والتي منها هذه الأبيات:

إلى الشاطئ المجهول والعالم الذي.... حننْتُ لمرآه إلى الضفة الأخرى

إلى حيث لاتدري إلى حيث لاترى..... معالم للأزمان والكون تُستَقْرى

إلى حيث (لاحيث] تميز حدوده!..... إلى حيث تنسى الناسَ والكونَ والدّهرا

وتشعر أنّ(الجزء) و[الكل] واحد..... وتمزج في الحس البداهة والفكرا

فليس هنا [أمس] وليس هنا [غد]..... ولا(اليوم) فالأزمان كالحلقة الكبرى

وليس هنا [غير] وليس هنا[أنا][١]... هنا الوحدة الكبرى[٢] التي احتجبت سرا

ديوان سيد قطب (ص١٢٣).

يقول سيد قطب في شرحه لهذه الأبيات في مقدمة كتابه ديوان سيد قطب ص ٣٠ ــ ٣١:

الجسم والزمن والوحدة : القُوى الروحية ــ عند الشاعر ــ هي التي تربطه بالوحدة الكونية الكبرى[٣] كما تقدم، في حين تَقصُرُ القوى العقليةُ عن ذلك، وهو يرى أن الشعورَ بالزمن ؛

نتيجةٌ لوجودِ الجسمِ والقوى الواعية ؛ وأن الروح تحسُّ بالوجود المطْلقِ[٤] ؛ لا يقيده الزمن ؛ وبالبداهة لا يقيده المكان.

ولذلك فهو حينما خَلعَ الجسم وخلع الحِجا في (الشاطئ المجهول) رأى أنْ ليس هناك (حيث) ولا(أمس) ولا (اليوم) ولا (الغد) ولا (غير) ولا (أنا) ... إلخ .

ولكنه رأى(الأزمان) كالحَلْقَةِ الكبرى) ورأى (الوحدة التي احتجبت سراً).

وكذلك في قصيدة (الليلات المبعوثة)[٥] حين تجرد لم يَرَ للزمان مَعْلَماً ولا رسماً ورأى كــلّ شئ كرمز الدّوام.

وله أبيات في ص٩١ من ديوانه عنوانها (عبادة جديدة) نعق بها في عام ١٩٣٧م منها:

لك يا جمال عبادتي..... لك أنت وحدك يا جمال

ومنها :

وأرى الألوهة فيك تُو..... حي بالعبادة في جلال

ما أنت إلاّ مظْهرٌ..... منها تُوشِّيهِ بالعبادة في جلالْ

فإذا عَبدتُكَ لم أكنْ..... يا حُسْنُ مِنْ أهل الضّلال

بل كنتُ محمود العقيــ..... ــدةِ في الحقيقةِ والخيالْ

أعْنُو لمن تعنُو له..... كلُ النفوسِ بلا مثالْ

مُتفرِّقا في الكون في.... شتى المرائي والخِلالْ[٦]

فإذا تركّز ها هُنا..... بطلَ التَّمحّلُ والجِدالْ

وفي شيخوخته في حدود سنة ١٩٤٦ م أو سنة١٩٤٧ م تحمس للدفاع عن عقيــدة النيرفانــا فمدحها وذبّ عنها وعن أهلها وهي تتضمن أخبث عقائد الوثنيين الهندوك والبوذيين من مثــل وحدة الوجود وعقيدة التناسخ[٧].

تحت عنوان (سندباد عصري) انتقد سيد قطب الدكتور حسين فوزي فقال بعد مقدمة تحــدث فيها عن السندباد والسندبادات ثم قال :

والدكتور حسين فوزي هو سندبادنا اليوم وهو رجل ندب لرحلة علمية في البحر الأحمر والمحيط الهندي ضمن بعثة عالمية لدراسة أحياء البحر الأحمر والمحيط وقد طوّف ــ مع البعثة ــ على باخرة مصرية طوال تسعة أشهر في البحر والبر في الجزر والقارة وزار معابد الهند وسيلان وسواها من الجزر المنثورة في المحيط ثم عاد، وتحدث عن كتاب ألفه في هذه الرحلة سماه (سندباد عصري) أودعه ملاحظاته الإنسانية وانفعالاته الوجدانية واستجاباته العاطفية ... الخ .

ثم ذهب يتكلم عن هذا الرجل بكلام يطول ذكره ولا فائدة في ذكره والذي يهمنا من هذا المقال هو حديثه عن النيرفانا ودفاعه عنها وعن أهلها علما بأن كلامه هذا في مرحلة إسلامياته كما يصفه أنصاره ومحبوه.

قال:

١ــ وإذا شاهد فيلماً هنديا يمثل الروح الهندية المتسامحة التي تنتهي من الصراع على الحقوق الخاصة، إلى الزهد في أعراض الدنيا والاتجاه إلى عبادة الروح الأعظم قال:

(أدركت ناحية من نواحي الضعف في بعض الحركات الروحية حين تدخل ميدان السياسة العلمية).

في هذا المقطع مدح للروح الهندية الضالة الملحدة بالتسامح والزهد في أعراض الدنيا والاتجاه إلى عبادة الروح الأعظم، وفي وصف الله بأنه الروح الأعظم ضلال مبين يرفضه الإسلام، وفي وصف الهنادك بأنهم يعبدون الله واعتداده بعبادتهم ضلال آخر.

٢ــ ثم قال: (وإذا سمع زميله الانجليزي يقول عن (النيرفانا) أي الفناء في الروح الأعظم ــ وهو الغاية التي يطمح إليها الهندي من وراء حرمانه وآلامه: (دعنا من هذا فلا قبل لي بهذا الهجص وتلك الشعوذة يا عم حسن) لم يجد في نفسه أية حماسة للرد على هذا الكلام.

وهكذا و هكذا مما قد يبالغ فيه فيصل إلى حدّ الزراية والسخط الشديدين على الروح الشرقية بوجه عام.

في هذا المقطع تعريف للنيرفانا بأنها الفناء في الروح الأعظم أي بأنها وحدة الوجود ولوم وعزم للدكتور حسين فوزي على إقراره لزميله الانجليزي على الطعن في هذه العقيدة واعتباره إياها هجصا وشعوذة قال : فلم يجد في نفسه أي حماسة للرد على هذا الكلام فالمسيحي أدرك تفاهة هذه العقيدة وخستّها وقد أقره حسين فوزي على هذا الوصف الذي لا يكفي في ذم هذه العقيدة الملحدة.

وسيد قطب تأخذه الغيرة لها فيعزم الرجلين على نقدها والاستهانة بها فيقول المسكين متألما لهذه العقيدة: (وهكذا و هكذا) الخ.

٣ ــ ثم يقول: ومهما افترضنا للسندباد من الأعذار في قسوة الأوضاع الاجتماعية والمظاهر البائسة التي شاهدها في الهند، فقد كنّا نرجو أن يكون أوسع أفقا وأكثر عطفا وأعمق اتــصالا بروح الشرق الكامنة وراء هذه المظاهر والأوضاع، والروح الصوفية المتــسامحة المــشرقة بنور الإيمان .

في هذا المقطع يبين في أسى شديد ما كان ينتظره ويرجوه من حسين فوزي فيقول فقــد كنــا نرجو أن يكون أوسع أفقا، ثم ويا للهول يصف أخبث عقيدة وأكفرها بأنها المتسامحة المشرقة بنور الإيمان.

٤ــ ثم يقول: (إنه يقول عن لوحة الكنج المقدس: لم يكن الإغريقي ليصور نبعاً مقدسا.الــخ) أجل ! وهذا هو مفرق الطريق بين الشرق والغرب. في الشرق قداسة تمت إلى القوة العظمى المجهولة، وفي الغرب حيوية تمت إلى المشهود الحاضر المحسوس .

وليس لي أن أفضل هذا أو ذاك، فكلاهما جانب من جوانب النفس الإنسانية الكبيرة التي تهش لكليهما على السواء ؛ إن لم تؤثر في حسابها الروحي والفني جانب المجهــول علــى جانــب المشهود .).

في هذا المقطع يصف الكنج وهو نهر يعبده الهنادك بأنه نهر مقدس ويصف عبــادة الهنــادك وطقوسها الكافرة بالقداسة التي تمت إلى القوة العظمى المجهولة فيصف الله بــالقوة العظمــى المجهولة فلا حول ولا قوة إلا بالله، وفي قوله وليس لي أن أُفــضل هــذا أو ذك نــوع مــن الاعتراف بوحدة الأديان، وقد قال في مناسبة أخرى:

(إن الإسلام يصوغ من الشيوعية والمسيحية معاً مزيجاً كاملاً يتضمن أهدافهما ويزيد عليهما بالتناسق والاعتدال) [معركة الإسلام والرأس ماليّة (ص:٦١)] وله في السلام العالمي مــدح للعقيدة النصرانية.

٥ــ ثم يقول: وهو يسخر بعقيدة (النيرفانا) كسخرية زميله الانجليزي الذي يقول: مــا كنــت أحسب أن دينا يعد بنعمة الفناء! ووجه الخطأ هو اعتبار (النيرفانا) فناء ! إنها كذلك في نظر الغربي الذي يصارع الطبيعة وينعزل عنها، فأما الهندي الذي يحس بنفسه ذرة منسجمة مــع الطبيعة، ويعدها أما رءوما، فيرى في فنائه في القوة العظمى[٨] حياة وبقاء وخلودا.

وعلينا أن نفهم هذا ونعطف عليه ولا نراه بعين الغربيين، وهو يبدو في أرفع صورة في (ساد هانا تاجور) فلنقف خشعا أمام هذا السموّ الإلهي، ولو لحظات!! .

في هذا المقطع تأخذ سيد قطب الغيرة على النيرفانا وأهلها ويأخذه الحماس فيرى نقد حــسين فوزي والإنجليزي للنيرفانا سخرية ويخطّئ نظرتهما إليها، ويريد أن يبين وجه الخطأ بل قام في زعمه ببيان هذا الخطأ فيقرر بذكائه وحدة الوجود ويمدحها ويمدح أهلها بأسلوبه الغريــب فتصل به عاطفته الجياشة بالحنان والعطف على هذه الديانة وأهلها إلى قوله (وعلينا أن نفهم

هذا ونعطف عليه) ...الخ وهكذا يقرر سيد قطب النيرفانا ويمدحها ويمح أهلها ويعتبر كفرهم وزندقتهم وإلحادهم سموا إلهيا، ويدعو نفسه والناس إلى الوقوف أمام هـذا الـسمو الإلهـي خاشعين).

وبعد هذا أريد أن يعرف الناس ما هي النيرفانا ثم ليحكم العقلاء المنصفون على سـيد قطـب وعلى حماسه لها ولأهلها ودفاعه عنها وعنهم.

وفي حدود سنة١٩٥١م تظاهر بنفي القول بوحدة الوجود في أول تفسير سورة البقرة في ظلال القرآن بأسلوب بارد لا ندري ما باعثه.

وفي نهاية الخمسينات[٩] عاد مع الأسف إلى تقرير عقيدة وحدة الوجـود والقـول بـالحلول والجبر في أواخر تفسيره الظلال في تفسير سورة الحديد فقال في تفسير قول الله تعالى:

(هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم).

١ـ قال سيد قطب : (وما يكاد يفيق من تصور هذه الحقيقة الضخمة، التـي تمـلأ الكيـان البشري وتفيض، حتى تطالعه حقيقة أخرى لعلها أضخم وأقوى، حقيقة أن لا كينونة لشيء في هذا الوجود على الحقيقة، فالكينونة الواحدة الحقيقية هي لله وحده سبحانه، ومن ثم فهي محيطة بكل شيء عليمة بكل شيء، فإذا استقرت هذه الحقيقة الكبرى في القلب ؛ فما احتفاله بشيء في هذا لكون غير الله سبحانه وتعالى ؟! وكل شيء لا حقيقة له ولا وجود، حتى ذلك القلب ذاته، إلا ما يستمده من تلك الحقيقة الكبرى، وكل شيء وهم ذاهب، حيث لا يكون ولا يبقى إلا الله، المتفرد بكل مقومات الكينونة والبقاء، وإن استقرار هذه الحقيقة في قلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة، فأما قبل أن يصل إلى هذا الاستقرار ؛ فإن هذه الآية القرآنية حسبه ليعيش في تدبرها وتصور مدلولها، ومحاولة الوصول إلى هذا المدلول الواحد.

الحواشي:

(١)السوية والغيرية اصطلاحان صوفيان مأخوذتان من كلمتي: سوى وغير والصوفي الحق في دين الصوفية من يوقن أنه لا سوى ولا غير أي يرى الكل عيناً واحدة. [انظر هذه هـي الصوفية (ص:١٥).

والقارئ يرى أن سيد قطب قد أضاف اصطلاحات أخرى، فليس هنا أمس وليس هنا عند وأن الكل والجزء واحد ولا حيث إلخ.

(٢)الوحدة الكونية الكبرى هي وحدة الوجود.

(٣)انظر التعليق السابق .

(٤)هذه العبارة يقولها أهل وحدة الوجود .

(٥)هذه القصيدة لا ندري متى قالها وهي واحدة من الأدلة على لهـج سـيد قطـب بوحـدة الوجود .

(٦)فسر الخلال بقوله: الخلال: منفرج ما بين الشيئين جاسوا خلال الديار، ساروا وترددوا بينها والمراد منتشر في كل ما نرى وما بين الأشياء وبعضها .

(٧)عُرفت النيرفانا في الموسوعة الميسرة (١٧١١-٢/١١٧٠) الصادرة عن الندوة العالمية للشباب:

النيرفانا: كلمة غامضة معناها النجاة ويعني بها نجاة الروح التي ظلت على صلاحها أثناء دورتها التناسخية المتعاقبة حيث لم تعد في حاجة إلى تناسخ جديد وبذلك يحصل لها النجاة من الجولان وتتحد بالخالق الذي صدرت عنه وتفني فيه.

والنيرفانا أو الحصول على النجاة من أسمى الأهداف للحياة عند الهندوس والبوذيين.

يقول كرشنا:

(من يعرف ظهوري وأعمالي التجاوزية لا يولد ثانية عند تركه الجسد في هذا العالم المادي، بل يدخل مقامي السرمدي).

ويذكر الدكتور محمد ضياء الأعظمي في فصول من أديان الهند أنه من ثمرات النيرفانا فناء الشخصية والاتحاد بالجوهر الذاتي (برم آتما) ومن هنا جاء إحراق الموتى تخلصاً من الجسم المادي لتعلوا الروح إلى العالم العلوي، والنار هي إحدى مظاهر الإلوهية (أكني) وهي بدورها تقرب إلى (برميشور) الذات العليا.

ولا يحصل على النيرفانا عند البوذية إلا بعد اقتلاع الشهوة اقتلاعاً تاماً.

يقول بوذا في آخر دروسه:

(الذي يؤمن بالبوذية والجماعة والدين يحل له النيرفانا) ، بل كان يحث أتباعه على تحصيلها حتى آخر لحظات حياته فيقول في آخر وصاياه: (فعليكم أيها التلاميذ مجاهدة النفس جهاد المخلص الجاد للحصول على النيرفانا) ، أما الجنين فيعتقدون أنه بحصول الأرواح على النيرفانا تبلغ درجة الإله وهذا الأمر يفسر انتشار الرهبنة في هذه الديانات.

وقد تأثر غلاة المتصوفة أمثال: الحلاج وابن عربي ومن تابعهما بهذه العقيدة الوثنية الباطلة التي تلغي اليوم الآخر والثواب والعقاب بالإضافة إلى إلغاء توحيد الله جل وعلا، وقد أظهروا مقالات كفرهم بالقول بالفناء والاتحاد ووحدة الوجود) ا.هـ.

وانظر [فصول في أديان الهند (ص:١٢٤)، والثقافة الإسلامية ــ المستوى الرابع ــ تأليف: محمد قطب، ومحمد المبارك، ومصطفى كامل، ص:١١٩].

(٨)وهذا تصريح بالقول بوحدة الوجود .

(٩)انظر كتاب (سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد) للخالدي (ص: ٥٤٦) ، حيث ذكر إكمال سيد قطب لتفسيره في ظلال القرآن في نهاية الخمسينات .

التعليق:

وما أحب أن أنبه إليه هو أن تعليقي وإن كان منصبا على موضوع نيافة القس هنا وما فيه من اتهامات للأستاذ سيد قطب بأشياء ثبت تراجعه عنها إلا أنه يهمني أيضا معرفة رأي نيافته في تلك القضايا بعد أن يقرأ تعليقي هذا وهل سيبقي كلامه كما هو في الأستاذ سيد أم سيتراجع هو ومن على شاكلته عن كله أو بعضه ؟؟.

وهذا أوان الشروع في التعليق:

لقد اتهم نيافة القس سيد قطب رحمه الله بأنه كان يدعو إلى عقيدة،وحدة الوجود والحلول والجبر ودفاعه،عن عقيدة النيرفانا الهندوكية البوذية.

وليسمح لنا نيافته بهذا التعقيب وهذه الملاحظات، على أني أود قبل ذلك: التنبيه على بعض المسلمات التي لا أظنه يخالفني فيها ومن ذلك:

١ــ أننا نقبل الحق إذا جاء على لسان الأستاذ سيد قطب أو نيافة القس المبجل، ونرفض الباطل ونرده ونرد عليه إذا جاء على لسان الأستاذ سيد قطب أو نيافة القس.

ولا أرجو أن يفهم من تعقيبي هذا أنني أدافع عن أخطاء الأستاذ سيد قطب رحمه الله بل الخطأ خطأ ولا يقبل الخطأ من أي كان.

٢ــ وفي المقابل فلو أن شخصا أراد أن ينبه على أخطاء وقعت لأحد الأشخاص، وقدم في ثنايا ذلك ببعض ما يعرفه من الخير عن ذلك الشخص المخطئ فهذا أيضا لا يلام ولا يخطأ وفي الأمر سعة، والمتأمل في كتابات الأئمة الأعلام كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الحافظ الذهبي يجد الكثير من هذا وذاك.

٣ــ وأخيرا فإن تبيان الأخطاء التي تنشر على الملأ كما في الكتب أو الإنترنت أمر مهم، وبالنسبة للأستاذ سيد قطب رحمه الله فإننا نرجو له أن يتقبل الله مقتله كشهادة في سبيله، ومع ذلك فليس هناك حرج من تبيان الأخطاء التي وقع فيها هو أو غيره وتبيان ما إذا كان قد تراجع عنها أم لم يتراجع، ولم يكن نيافة القس بأول من تكلم في الأخطاء التي وقع فيها سيد قطب رحمه الله، بل سبقه في ذلك الكثيرون، فهناك على سبيل المثال كتاب"المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال" للشيخ عبد الله بن محمد الدرويش نبه فيه على الكثير من الأخطاء التي وقع فيها الأستاذ سيد قطب.

ومثال آخر:

١ــ فبعد أن نشر الأستاذ سيد قطب رحمه الله كتاب العدالة الاجتماعية في مبدأ حياته ذات التوجه الإسلامي تضمن كتابه ذاك في طبعاته الأولى إساءات صريحة لبعض الصحابة

رضوان الله عليهم كعثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وكان أن انتقده في ذلك الشيخ محمود شاكر رحمه الله، وكان ذلك سببا في أن يحذف الأستاذ سيد قطب تلك الإساءات من الطبعة السادسة والأخيرة في حياته رحمه الله، والتي أصدرتها "دار إحياء الكتب العربية" عام ١٩٦٤ م. وهي طبعة منقحة، حيث حذف منها العبارات التي أخذ عليه محمود شاكر وغيره، والمتعلقة بعثمان ومعاوية ــ رضي الله عنهما ــ وأضاف لها فصل " التصور الإسلامي والثقافة " أحد فصول "معالم في الطريق". ــ نقلا عن كتاب "سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد" ص ٣٩٥- ٣٩٦ للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي. وتجد مثله في كتاب أبي الحسن الندوي شخصيات وكتب ص ١٠٦.

٢ــ وكان سيد قطب رحمه الله رجاعا للحق عندما يبين له، وقد تراجع في الطبعة المنقحة لكتاب في ظلال القرآن" والتي وصل فيها إلى الجزء الثالث عشر من القرآن عن كثير من الأخطاء التي وقع فيها في السابق في الطبعات الأولى من الكتاب.

٣ــ وإضافة للشيخ محمود شاكر، فإننا نجد على سبيل المثال للشيخ محمد سرور زين العابدين حفظه الله تبيانا لبعض الأخطاء التي وقع فيها سيد قطب في حادثة السحر التي وقعت للنبي صلى الله عليه وسلم من اليهودي لبيد بن الأعصم وذلك في البحوث التي كتبها في السيرة النبوية قبل ما يزيد على ربع قرن من الزمان ثم نشرها في كتابه دراسات في السيرة النبوية وانظر ما ذكره من أخطاء لسيد قطب رحمه الله في ذلك الكتاب ص ٣٢١.

٤ــ وأيضا للشيخ علوي السقاف صاحب كتاب " التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد" ..

وله كتاب أخر اسمه "تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب" قال في مقدمته ص ٥-٦ :

(ولما كان هذا الكتاب من الكتب التي يقرأها الكثير من شباب الدعوة اليوم، وقد لا يملك بعضهم معرفة الصحيح من الضعيف، كما أن مؤلفه سيداً لم يكن من أصحاب هذا الشأن، فهو يورد أحاديث كثيرة منها الصحيح والضعيف وما لا أصل، رأيت أن من أهم ما ينبغي أن يشتغل به طالب العلم اليوم وهو تنقية الكتب مما شابها من أحاديث لا تصح نسبتها إلى المعصوم ﷺ- وهذا منها – حتى تسلك هذه الدعوة الجادة، ولا تخطيء الطريق).

وهناك الكثير من الجهود.

و في الصفحات القلية القادمة وقبل الشروع في الرد والتمحيص يحسن أن أبدأ بترجمة صغيرة جدا لسيد قطب:

سيد قطب .. سيرة حياة

هو سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، ولد في قرية "موشة" وهي إحدى قرى محافظة أسيوط بتاريخ ٩ / ١٠ / ١٩٠٦م .

* تلقّى دراسته الابتدائية في قريته، وفي سنة ١٩٢٠ م سافر إلى القاهرة، والتحق بمدرسة المعلمين الأوّلية ونال منها شهادة الكفاءة للتعليم الأوّلي، ثم التحق بتجهيزية دار العلوم.

* في سنة ١٩٣٢ م حصل على شهادة البكالوريوس في الآداب من كلية دار العلوم، وعمل مدرسا حوالي ست سنوات، ثم شغل عدة وظائف في الوزارة.

* عين بعد سنتين في وزارة المعارف بوظيفة "مراقب مساعد" بمكتب وزير المعارف آنذاك ــ إسماعيل القباني ــ، وبسبب خلافات مع رجال الوزارة، قدّم استقالته على خلفية عدم تبنيهم لاقتراحاته ذات الميول الإسلامية.

* وقبل مجلس ثورة يوليو الاستقالة سنة ١٩٥٤، وفي نفس السنة تم اعتقال سيد قطب مع مجموعة كبيرة من زعماء "الإخوان المسلمين"، وحكم عليه بالسجن لمدة (١٥) سنة، ولكن الرئيس العراقي عبد السلام عارف تدخّل لدى الرئيس المصري جمال عبد الناصر، فتم الإفراج عنه بسبب تدهور حالته الصحية سنة ١٩٦٤م.

* وفي سنة ١٩٦٥ اعتقل مرة أخرى بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم واغتيال جمال عبد الناصر واستلام الإخوان المسلمين الحكم في مصر.

وقد صدر حكم الإعدام على سيد قطب بتاريخ ٢١ / ٨ / ١٩٦٦ وتم تنفيذه بسرعة بعد أسبوع واحد فقط (في ٢٩ / ٨ / ١٩٦٦) قبل أن يتدخّل أحد الزعماء العرب!!.

سيد قطب الصحفي

لسيد قطب علاقة وثيقة مع الصحف والمجلات.

فقد بدأ بنشر نتاجه وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، وقد نشر أولى مقالاته في صحيفة "البلاغ" و"الحياة الجديدة" و"الأسبوع" و"الأهرام" و"الجهاد".

وكان سيد قطب غزير الإنتاج، يكتب المقالات الأدبية والنقدية والتربوية والاجتماعية والسياسية.

ففي المجلات كتب في "الكاتب المصري"..و"الكتاب"..و"الوادي"..و"الشؤون الاجتماعية" و"الأديب"..و"الرسالة"..و"الثقافة"..و"دار العلوم" وغيرها.

وقد اشرف على مجلتي "الفكر الجديد"..و"العالم العربي"، كما اشرف على مجلة "الإخوان" التي لاحقتها السلطات وفرضت عليها الرقابة دون غيرها من الصحف وأوقفتها عن الصدور وذلك في ٥ / ٨ / ١٩٥٤.

وبسبب نشاطه ألإخواني أغلقت كثير من الصحف أبوابها بوجه إبداعه فكتب يشكو أن الصحف المصرية ــ إلا النادر القليل منها ــ هي مؤسسات دولية، لا مصرية ولا عربية، مؤسسات تساهم فيها أقلام المخابرات البريطانية والفرنسية والمصرية والعربية أخيراً.

وفي موقع آخر كتب ليعرّف الجمهور الكادح الفقير انه ليس هو الذي يموّل الجريدة بقروشه: "تعتمد هذه الصحف على إعلانات تملكها شركات رأسمالية ضخمة، وتخدم بدورها المؤسسات الرأسمالية.. وتعتمد ثانيا على المصروفات السرية المؤقتة أو الدائمة التي تدفعها الوزارات لصحافتها الحزبية أو للصحف التي تريد شراءها أو ضمان حيادها.. وتعتمد ثالثا على المصروفات السرية لأقلام المخابرات الدولية وبخاصة إنكلترا وأمريكا..".

سيد قطب الأديب

سيد قطب أديب له مكانته في عالم الأدب والنقد وله علاقات مع عدة أدباء منهم طه حسين وأحمد حسن الزيات وتوفيق الحكيم ويحيى حقي ومحمود تيمور ونجيب محفوظ وغيرهم.

ولكن علاقته المميزة كانت مع عباس محمود العقاد، وهو أستاذ سيد قطب واثّر كثيراً على مسار تفكير سيد قطب الأدبي والنقدي والحزبي.

كان سيد قطب يكتب عن جميع كتب العقاد ويمدحه ويشير إلى عبقرية الرجل واعتبره شاعر العالم أجمع، لكنه في سنة ١٩٤٨م خرج نهائياً من مدرسة العقاد، وكان سيد قطب قد دفع الثمن غالياً بسبب دفاعه المستميت عن العقاد وأدبه من قبل الصحف الوفدية (بعد خروجهما من الحزب) والمسئولين في وزارة المعارف.

سيد قطب والأحزاب

كما أشرت سابقاً، انضمّ سيد قطب إلى حزب الوفد ثم انفصل عنه، وانضم إلى حزب السعديين – نسبة إلى سعد زغلول – لكنه ملّ من الأحزاب ورجالها وعلل موقفه هذا قائلاً:

"لم أعد أرى في حزب من هذه الأحزاب ما يستحق عناء الحماسة له والعمل من أجله".

سيد قطب في ظلال الفكر الحركي الإسلامي

منذ سنة ١٩٥٣ انضم سيد قطب عمليا لحركة الإخوان المسلمين وكلّفه الإخوان بتحرير لسان حالهم جريدة "الإخوان المسلمين" وإلقاء أحاديث ومحاضرات إسلامية، كما مثّل الإخوان خارج مصر في سوريا والأردن اللتين منع من دخولهما، ثم القدس.

سيد قطب وثورة الضباط الأحرار

مما لا شك فيه انه كان للإخوان المسلمين تنظيم قوي قبيل قيام الثورة، وأنهم لم يكونوا بمعزل عن الأمور والتطورات في مصر، وان تنظيمهم الفكري والاجتماعي والسياسي كان أكثر

نضوجاً من تنظيم الضباط الأحرار، زد على ذلك أن بعض الضباط الإسلاميين كانوا شركاء حقيقيين مع الضباط الأحرار بقيادة جمال عبد الناصر، وزد عليه محاولة محمد نجيب الرئيس الأول لمصر بعد الجلاء البريطاني التقرب من الإخوان المسلمين من اجل احتواء قوتهم، لكن مطلبه هذا كلفه العزل من منصبه وفرض الإقامة الجبرية عليه، حتى جاء الرئيس الراحل محمد أنور السادات وفكّ أسره المنزلي.

وتروي لنا بعض المصادر الشحيحة إن الضباط الأحرار قبيل الثورة كانوا يتشاورون مع سيد قطب حول الثورة وأسس نجاحها، والذي يؤكّد ذلك انه تم تعيينه من قبل قيادة الثورة مستشاراً للثورة في أمور داخلية وأوكلت له مهمة تغيير مناهج التعليم التي عُمِل بها في مصر، والتي أكل الدهر عليها وشرب.

كما أن لا أحد ينكر قيمة المقالات التي نشرها سيد قطب والتي دعا فيها الشعب المصري للخروج على سياسة القهر والرجعية المصرية.

وقد حاول سيد قطب التوفيق بين عبد الناصر والإخوان، وانحاز سيد قطب إلى الإخوان ورفض جميع المناصب التي عرضها عليه عبد الناصر مثل وزير المعارف، ومدير سلطة الإذاعة...

نهاية مفكر

تم إلقاء القبض على سيد قطب وزجّه في السجن فرأى أهوال التعذيب من قبل المحققين، وكان قد قتل من جراء التعذيب عدد من أعضاء تنظيم الإخوان.

وكان سيد قطب جريئاً أثناء محاكمته القصيرة، والتي منع محامون أجانب وممثلو هيئات الدفاع عن حقوق السجين من المرافعة عنه فيها، وعن باقي أعضاء التنظيم.

وفي ليلة تنفيذ الحكم، طلب منه أن يقبل بالمساومة والاعتذار، أو أن يكتب سطراً واحداً يطلب فيه الرحمة من الرئيس جمال عبد الناصر فرفض، وفي نفس الوقت حاول ملك السعودية التوسط لدى عبد الناصر بالعدول عن إعدام سيد قطب، ولكن عبد الناصر رفض.

وقد أعدم سيد قطب في فجر يوم ٢٩ / ٨ / ١٩٦٦م.

يا أله ... حاول أن تصغي إليه وهم يحاولونه أن يسترحم قبل تنفيذ حكم الإعدام فيقول:

لماذا أسترحم ؟! إن كنت محكوما بحق فأنا أرتضى حكم الحق، وإن كنت محكوما بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل إن إصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية في الصلاة لترفض أن تكتب حرفا تقر به حكم طاغية.

ولقد حدثت شقيقته حميدة قطب فقالت :

يوم الأحد – ٢٨ أغسطس١٩٦٦م – جاء قرار الإعدام موقعا من رئيس الجمهورية – عبد الناصر - ولكنهم كما يبدو أوعزوا إلى مدير السجن الحربي حمزة البسيوني أن يحاوله الاعتذار حتى آخر لحظة.

قالت حميدة : (دعاني حمزة البسيوني وأطلعني على مصادقة عبد الناصر على قرار الإعدام فارتعشت أوصالي ، لأني كنت أحب سيدا حبا يملك علي نفسي ، ثم قال حمزة : أمامنا فرصة أخيرة لإنقاذ هذا العلامة لأن إعدامه خسارة كبرى للعالم الإسلامي ، فإذا اعتذر فإننا نخفف حكم الإعدام إلى السجن ثم يخرج بعفو صحي بعد ستة أشهر ، فبادري إليه لعله يعتذر.

قالت حميدة: (فدخلت عليه وقلت له: إنهم يقولون: إن حكم الإعدام سيوقف فيما إذا اعتذرت.

قال سيد : عن أي شيء أعتذر ؟! عن العمل مع الله ، والله لو عملت مع غير الله لاعتذرت ، ولكنني لن أعتذر عن العمل مع الله ، ثم قال: اطمئني يا حميدة ، إن كان العمر قد انتهى سينفذ حكم الإعدام ، وإن لم يكن العمر قد انتهى فلن ينفذ حكم الإعدام ولن يغني الاعتذار شيئا في تقديم الأجل أو تأخيره...).

يا لله ! حبل المشنقة يلوح أمام ناظريه ، ولا تهتز أوصاله ، ولا يضطرب موقفه ، ولا يتراجع عن كلمته ، إنها القمة السامقة التي أحله فيها التوحيد ، إنها الطمأنينة التي سكبها الإيمان بالله في أعماقه ، وهو كما يقول في مقدمة " في ظلال القرآن " [ص١٣ دار الشروق] :

(ومن ثم عشت في ظلال القرآن هادئ النفس ، مطمئن السريرة ، قرير الضمير ، عشت أرى يد الله في كل حادث ، وفي كل أمر ، عشت في كنف الله وفي رعايته ، عشت أستشعر إيجابية صفاته تعالى وفاعليتها ... ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (النمل : ٦٢)] أي طمأنينة ينشئها هذا التصور؟ وأي سكينة يفيضها على القلب ؟ وأي ثقة في الحق والخير والصلاح أو أي استعلاء على الواقع الصغير يسكبها في الضمير؟.).

نحن لا ننزه سيدا من الخطأ ، وحاشا لله أن ندعى له العصمة ، إذ ما من إنسان إلا ويؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر ﷺ كما كان يردد إمام المدينة وعالمها مالك.

ونحن قد نجد في الظلال وغيره بعض الألفاظ التي قد تحتاج إلى دقة أكثر لتتفق مع المصطلحات الشرعية في العقيدة الإسلامية ، وهذا لا بد أن يكون مادام بشرا يخطئ ويصيب .

أما : أن يصل بنا الأمر أن ننسب إليه تلك العقيدة الفاسدة الضالة ، وهي : القول بوحدة الوجود ، هذه القولة التي تكاد تخر لها الجبال هدا ، سبحانك يا رب هذا بهتان عظيم .

والآن لا بد أن نقف على بعض الأقوال لمن قالوا بوحدة الوجود ، وقبل أن أدخل معك لأطلعك على أقوالهم ، أحب أن أبين أن سيد قطب قد هاجم القول بوحدة الوجود بالنص:

يقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ { [البقرة:١١٦، ١١٧] .

يقول في تفسيرها [ص١٠٦/ج١/دار الشروق] :

والنظرية الإسلامية أن الخلق غير الخالق، وأن الخالق ليس كمثله شيء. . ومن هنا تنتفي من التصور الإسلامي فكرة وحدة الوجود –على ما يفهمه غير المسلم من هذا الاصطلاح– أي بمعنى أن الوجود وخالقه وحدة واحدة ، أو أن الوجود إشعاع ذاتي للخالق ، أو أن الوجود هو الصورة المرئية لموجده ، أو على أي نحو من أنحاء التصور على هذا الأساس . والوجود وحدة في نظر المسلم على معنى أخر: وحدة صدوره عن الإرادة الواحدة الخالقة، ووحدة ناموسه الذي يسير به.

سيد قطب بين فكّي التاريخ

إن إعدام مفكر عربي إسلامي مثل سيد قطب الذي قدّم خدماته الفكرية في الأدب والدين والاجتماع والسياسة، بهذه الصورة الوحشية وغير المنصفة، يعتبر من اكبر أخطاء نظام جمال عبد الناصر، لا سيما وان الرجل قدم خدمات جليلة لقيادة الثورة، ولو انه قبل بالأموال والمناصب، لصار عندهم قائداً وطنياً.

والذي يزيد الجرح نزيفاً قيام بعض الجهات باتهام سيد قطب بالعمالة لأمريكا أو بالتخطيط لقلب نظام الحكم، مع العلم انه رأى أن الوقت غير مناسب لقلب النظام وتحويله إلى نظام إسلامي صرف.

إن صمود هذا الرجل في سجنه ومحنته المستمرة والمتكررة وعدم قبوله بالمناصب وإيمانه برسالته يجعله في صفوف الرجال العظماء في هذا العصر.

مقتطفات من كتابه "معالم في الطريق"

يعتبر هذا الكتاب من أهم كتب السيد قطب، وقد كتبه في السجن على شكل رسائل جمعت وصدرت في كتاب، واخترت لكم منه هذه الأفكار الخالدة:

"لا بدّ من قيادة للبشرية جديدة، إنّ قيادة الرجل الغربي للبشرية قد أوشكت على الزوال... لأن النظام الغربي قد انتهى دوره لأنه لم يعد يملك رصيدا من القيم يسمح له بالقيادة" .

وفي موقع آخر يقول عن سر نجاح الأمة الإسلامية:

"لقد اجتمع في الإسلام المتفوق، العربي والفارسي والشامي والمصري والمغربي والتركي والصيني والهندي والروماني والإغريقي والاندونيسي والإفريقي إلى آخر الأقوام والأجناس

وتجمّعت خصائصهم كلها لتعمل متمازجة متعاونة متناسقة في بناء المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية. ولم تكن هذه الحضارة الضخمة يوما ما [عربية] إنما كانت دائماً [إسلامية] ولم تكن [قومية] إنما كانت دائماً [عقيدية]".

أما عن رأيه بالشيوعية العالمية فيقول:

"وأرادت الشيوعية أن تقيم تجمعا من نوع آخر، يتخطّى حواجز الجنس والقوم والأرض واللغة واللون، ولكنها لم تقمه على قاعدة إنسانية عامة، إنما أقامته على القاعدة "الطبقية" فكان هذا المجتمع هو الوجه الآخر للتجمّع الروماني القديم، هذا تجمع على قاعدة طبقة [الأشراف] وذلك تجمع على قاعدة طبقة الصعاليك [البروليتاريا]"...

وعند تصور سيد قطب للدولة ونظام حكمها يقول:

"ومملكة الله في الأرض لا تقوم بان يتولّى الحاكمية في الأرض رجال بأعينهم ــ وهم رجال دين ــ كما كان الأمر في سلطة الكنيسة، ولا رجال ينطقون باسم الآلهة كما كان الحال فيما يعرف باسم "الثيوقراطية" أو الحكم الإلهي المقدس!! ولكنها تقوم بان تكون شريعة الله هي الحاكمة وان يكون مردّ الأمر إلى الله وفق ما قرره من شريعة مبيّنة".

رأيه في الاستعمار العالمي

ومما جاء في هذا الكتاب أيضاً، رأي سيد قطب في الاستعمار العالمي الذي تغلغل عميقا في الأمة الإسلامية:

"ونحن نشهد نموذجاً من تمويه الراية في محاولة الصليبية العالمية اليوم أن تخدعنا عن حقيقة المعركة، وان تزوّر التاريخ، فتزعم لنا أن الحروب الصليبية كانت ستاراً للاستعمار... كلا... إنما الاستعمار الذي جاء متأخراً هو الستار للروح الصليبية التي لم تعد قادرة على السفور كما كانت في القرون الوسطى! والتي تحطّمت على صخرة العقيدة بقيادة مسلمين من شتى العناصر، وفيهم صلاح الدين الكردي، ونوران شاه المملوكي، العناصر التي نسيت قوميتها وذكرت عقيدتها فانتصرت تحت راية العقيدة".

وهذا غيض من فيض.

وللمزيد عن سيد قطب وأدبه وأفكاره ونضاله واستشهاده يمكن الرجوع للكتب التي ألّفها، وبعضها مقالات تمّ جمعها وإصدارها في كتاب بعد إعدامه:

١ – التصور الفني في القرآن.

٢ – خصائص التصور الإسلامي.

٣ – دراسات إسلامية.

٤ – السلام العالمي والإسلام.

٥ – في ظلال القرآن (ثمانية مجلدات).

٦ – كتب وشخصيات.

٧ – لماذا أعدموني؟ (كتاب منسوب له وأشك في أنه هو الذي كتبه لاعتبارات عدة).

٨ – المدينة المسحورة.

٩ – معركتنا مع اليهود.

١٠ – مشاهد القيامة في القرآن.

١١ – مهمة الشاعر في الحياة.

١٢ – النقد الأدبي أصوله ومنهجه.

١٣ – معالم في الطريق.

أما أهم الكتب التي صدرت عنه:

١ – سيد قطب أو ثورة الفكر الإسلامي، محمد علي قطب.

٢ – سيد قطب حياته وأدبه، عبد الباقي محمد حسين.

٣ – سيد قطب الشهيد الحي، د. صباح عبد الفتاح الخالدي.

٤ – سيد قطب من القرية إلى المشنقة، عادل حمودة.

٥ – مذابح الإخوان في سجون ناصر، جابر رزق.

عود على بدء

ونأتي الآن لما ذكره نيافته في موضوعه ولنا على موضوعه الملاحظات والردود التالية:

يقول جناب القس: قول سيد قطب بعقيدة وحدة الوجود والحلول والجبر ودفاعه عن عقيدة النيرفانا الهندوكية البوذية .

أطوار سيد قطب في وحدة الوجود:

أولاً ــ نعق بها وهو في سن الكهولة في حدود عام ١٩٣٥م أي في حدود ١٣٥٥ هـ . إلى آخر ما ذكره من أشعار.

هذا ما ذكره جناب القس في بداية مقاله:

ونقول لنيافته: لقد كان عمر سيد في ذلك الوقت ثلاثون عاما فهل تعتبر هذا هو سن الكهولة؟

ولعلك تعلم يا جناب القس، أن هناك الكثير من الأخطاء وقعت في كتابات سيد قطب وأشعاره قبل تحوله للاتجاه الإسلامي، وأنه بعد ذلك تراجع عن الكثير منها كما سيأتي معنا في هذه المسألة إن شاء الله.

وبالنسبة لما ذكره جناب القس من أشعار للأستاذ سيد قطب فنحب أن ننبه لأمرين اثنين:

الأمر الأول: أن الأستاذ سيد قطب بصفته ناقدا ذكر أنه كشاعر راض عن مجموعة هذا الديوان ثم قال بصفة الناقد في مقدمة الديوان – التي أحال جناب القس على جزء منها ، ما نصه:

" أما أنا فلست راضيا عنها إلا بمقدار، وما زلت أتطلع إلى مثل عليا، كما آخذ عليه بعض أنواع الضعف والخطأ، وما يشبه الضعف والخطأ في بعض الأفكار وبعض الألفاظ". ديوان سيد قطب ص ٢٩.

الأمر الثاني: الذي نحب التنبيه عليه أن سيد قطب مر بمرحلة ضياع كبيرة قبل اتجاهه الإسلامي وظهرت بعض آثارها في كتبه الأولى أيضا.

١ــ ولنقرأ ما يحكيه الشيخ أبي الحسن الندوي عما ذكره له الأستاذ سيد قطب شخصيا عن تطورات حياته عندما زاره في بيته يوم الجمعة ١٣٧٠/٨/١٩ هـ الموافق١٩٥١/٥/٢٥م حيث ذكر الشيخ أبو الحسن رحمه الله ما نصه: " الأستاذ يذكر تطورات حياته.

وذكر الأستاذ مراحل حياته وكيف وصل إلى العقيدة الإسلامية أو الإيمان بالإسلام من جديد، وذكر كيف نشأ على تقاليد الإسلام في الريف وفي بيته ثم انتقل إلى القاهرة فانقطعت كل صلة بينه وبين نشأته الأولى، وتبخرت ثقافته الدينية الضئيلة وعقيدته الإسلامية ، ومر بمرحلة الارتياب في الحقائق الدينية إلى أقصى حدود ، ثم أقبل على مطالعة القرآن لدواع أدبية ، ثم أثر فيه القرآن وتدرج به إلى الإيمان ، وكيف أثرت فيه كتب السيرة ونصح إخوانه بالاعتناء بدراسة القرآن وكتب السيرة ، وأفدت من هذا الحديث القيم كثيراً ، ثم استأذناه وطلبت منه أن يقدم لكتابي "ماذا خسر العالم" ...) مذكرات سائح ص ٢٢٣.

وللاستزادة من أخبار وأشعار سيد قطب في رحلة ضياعه في الثلاثينات يراجع كتاب "سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد" للدكتور صلاح الخالدي ص ٢١٣ــ ص٢٥٥.

٢ــ ثم نعلق الآن على باقي كلام جناب القس:

يقول نيافته: " وفي شيخوخته ف حدود سنة ١٩٤٦ م أو سنة١٩٤٧ م تحمس للدفاع عن عقيدة النيرفانا فمدحها وذبّ عنها وعن أهلها وهي تتضمن أخبث عقائد الوثنيين الهندوك والبوذيين ..." إلى آخر ما كتبه في موضوعه.

٣ــ ونواصل ملاحظاتنا على ما كتبه:

ونقول لجنابه في عام ١٩٤٦ وعام ١٩٤٧ م كان الأستاذ سيد قطب في أوائل الأربعين من عمره وليس في الشيخوخة.

وهاهنا وقفة مع جنابه في كونه يستدل على عقيدة سيد قطب ومنهجه بالكتب والأشعار التي كتبها قبل المرحلة الإسلامية التي مر بها رغم أن سيدا رحمه الله تبرأ من أكثر تلك العقائد والأفكار فيما بعد كما سنبينه في هذه المسألة إن شاء الله .

فليت جناب القس كان أكثر حرصا في بيان رجوع الأستاذ سيد قطب رحمه الله عن هذه الأخطاء، أو ليته على الأقل بين أن كثيرا من الأقوال المنسوبة لسيد كانت في مرحلة ضياعه وفي مقتبل حياته ذات التوجه الإسلامي وأنه في الأخير تراجع عن الكثير من تلك الأخطاء ، ولنا أن نضرب لجناب القس مثالا يوضح المقال فالعلامة أبو الفضل بن الرضا البرقعي والذي كان قديما من كبار علماء الروافض وألف في نصرة مذهبهم التصانيف الكثيرة والعديدة يسر الله هدايته للإسلام الصحيح على عقيدة أهل السنة والجماعة وألف بعد ذلك الكتب الكثيرة في الرد على الروافض من قبيل "كسر الصنم" و" أحكام القرآن" و "دراسات في أخبار المهدي" وغير ذلك..

فهل ترى يا جناب القس من العدل والإنصاف أن نقول أن العلامة البرقعي يقول بكذا وكذا من عقائد الروافض ونستدل لذلك ببعض كتبه القديمة والتي ألفها قبل أن يصبح من أهل السنة والجماعة؟؟.

وقل مثل هذا في العلامة البحر مفخرة هذا العصر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان فهو في مقتبل حياته لم يكن على العقيدة السلفية عقيدة أهل السنة والجماعة ثم من الله عليه بالهداية إليها بعد ذلك.

وأما أن جناب القس كلامه عما أسماه" أطوار سيد قطب في وحدة الوجود" بمثل هذا الكلام "عاد مع الأسف إلى تقرير عقيدة وحدة الوجود والقول بالحلول والجبر" فسيأتي بأذن الله ما ينقض هذا الادعاء جملة وتفصيلاً وبيان أن الطور الأخير لسيد قطب في هذا هو الرد على القائلين بوحدة الوجود.

وهاهنا نحن يا جناب القس نشرع في بيان دفاع الأستاذ سيد قطب رحمه الله عن عقيدة التوحيد ورده على عقائد الهندوك كالنيرفانا وأصحاب وحدة الوجود على أنني أود التقديم ببعض الملاحظات على ما سبق أن قلته في مقالك وإلى التفصيل:

١) في نقولاتك المطولة عن حوار سيد قطب مع الدكتور حسين فوزي والذي استنتجت منه أن سيد قطب يدافع عن عقائد الهندوك البوذيين كالنيرفانا لم تحلنا في كل نقولاتك تلك على المرجع الذي استقيت منه كل تلك النقولات، وكان من المفترض أن تحلنا على المرجع الذي نقلت منه كل تلك الحوارات.

٢) تقول " في هذا المقطع مدح للروح الهندية الضالة الملحدة بالتسامح والزهد في أعراض الدنيا والاتجاه إلى عبادة الروح الأعظم، وفي وصف الله بأنه الروح الأعظم ضلال مبين ، وفي وصف الهنادك بأنهم يعبدون الله واعتداده بعبادتهم ضلال آخر".

ونقول لجناب القس، هل هناك حرج شرعي في وصف أولئك الهنود الكفار بالتسامح والزهد في أعراض الدنيا؟.

نحن بلا شك نوافقك أن أولئك كفار لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا ولكن ما المانع من وصفهم مع كفرهم وشركهم بالتسامح والزهد في أعراض الدنيا؟.

إن الله عز وجل يقول في محكم كتابه العزيز(آل عمران : ٧٥) ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

فهل لو وصفت بعض أهل الكتاب بعدم الأمانة في المعاملات المالية أكون مخطئا؟؟.

٣) يقول جناب القس: وقد قال في مناسبة أخرى: "إن الإسلام يصوغ من الشيوعية والمسيحية معاً مزيجاً كاملاً يتضمن أهدافهما ويزيد عليهما بالتناسق والاعتدال". [معركة الإسلام والرأس ماليّة (ص:٦١).

وننقل لجناب القس جزءا أكبر مما قاله الأستاذ سيد قطب في تلك الصفحة التي أحالنا إليها نيافته حيث يقول سيد قطب :

(و لابد للإسلام أن يحكم ليقدم للإنسانية مجتمعا من طراز آخر، قد تجد فيه الإنسانية حلمها الذي تحاوله الشيوعية، ولكنها تطمسه بوقوفها عند حدود الطعام والشراب ، وتحاوله الاشتراكية ولكن طبيعتها المادية تحرمه الروح والطلاقة ، والذي حاولته المسيحية ولكن لم تنظم له الشرائع ولم تضع له القوانين.

و لابد للإسلام أن يحكم لأنه العقيدة الوحيدة الايجابية الإنشائية التي تصوغ من المسيحية والشيوعية مزيجا كاملا ، يتضمن أهدافهما جميعا ، ويزيد عليها التوازن والتناسق والاعتدال).

معركة الإسلام والرأسمالية ص ٦١..

ولقد هاجم سيد قطب في هذا الكتاب الشيوعية والاشتراكية والنصرانية وبين أوجه الضعف والقصور فيها وبين أن الإسلام جاء بالتوازن بين الجانب المادي الذي تدعيه الشيوعية والجانب الروحي الذي تدعيه النصرانية وبذلك يصبح الإسلام هو العقيدة الوحيدة الإيجابية.

٤) يقول جناب القس: (وله في السلام العالمي مدح للعقيدة النصرانية).

وكنا نود لو أن نيافة القس ذكر لنا الشاهد من كلام الأستاذ سيد قطب الذي استنتج منه هذا الاستنتاج؟؟

٥) وحتى يبين لنا جناب القس المصدر الذي استنتج منه مدح الأستاذ سيد قطب لعقائد الهندوك ودفاعه عنها فإننا نود هنا أن ننقل له ما قاله الأستاذ سيد قطب رحمه الله في كتاب من آخر كتبه وبعد التاريخ الذي ذكره لنا بما يزيد على ١٧ عاما ــ حيث أن نيافة القس ذكر أن كلام سيد قطب السابق كان في عام ١٩٤٦ أو ١٩٤٧ وأما ما ننقله هنا فهو من كتاب صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦٢م ــ يقول سيد وهو يرد على عقائد الهنود الهندوكية الوثنية في كتاب خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، يقول في ص ١٨٥ :

" الهندوكية مثلا اعترفت بواحد هو وحده الموجود وهو براهما، وجعلت من صفاته:

التفرد بالكمال وجعلت ما عدا هذا الواحد الموجود عدما لا وجود له ... فهذه الأكوان وما فيها عدم ولكنها من جانب آخر جعلت الوجود الذي هو الخير والكمال يحل في العدم الذي هو الشر والنقص.ومهمة الهندوكي المؤمن إذن هي المحاولة المستمرة لتخليص الوجود والخير والكمال والبقاء الذي في كيانه، من العدم والشر والنقص والفناء، ليصير براهما.. ومن هنا حرصه على إفناء جسمه – الذي هو العدم – لينطلق الوجود الحال فيه ويصبح طليقا.. وهذه هي درجة النيرفانا وهي تمثل الخلاص والانطلاق والعودة" براهما !" .

وبين رحمه الله فساد عقيدتهم من جهة الحلول والتثليث حيث يقولون بالآلهة الثلاثة براهما وفشنو وسيفا

وبعد أن رد رحمه الله على كفرياتهم وضلالاتهم استطرد فقال:

" وهكذا نستطيع أن نقول باطمئنان: إن التصور الإسلامي هو التصور الوحيد الذي بقي قائما على أساس التوحيد الكامل الخالص. وإن التوحيد خاصية من خصائص هذا التصور، تفرده وتميزه من بين سائر المعتقدات السائدة في الأرض كلها على العموم" ص ١٨٧.وهذا الفصل مهم في الرد على ضلالات الفلاسفة والنصارى وكفرياتهم حيث بين فساد عقيدتهم وعدم وجود التوحيد عندهم.

٦) لا شكّ أنّ سيّداً رحمه الله تعالى وقعت منه أخطاء في مسائل إعتقادية و غيرها .. و لست الآن بصدد الكلام على تفصيل ذلك..

لكن الذي أشير إليه أنّ قضية القول بوحدة الوجود تلك العقيدة الكفريّة لا يصحّ ثبوتها عنه رحمه الله ــ و قد سبق بيان النقول عنه في ذلك و الكلام في ذلك يطول .

و أضيف هنا أنّ ممن نفى عنه القول بوحدة الوجود : الشيخ الحافظ عبد الله الدويش رحمه الله تعالى في كتابه (المورد الزلال) (ص/٢٣٤) حيث قال بعد أن ساق كلامه في سورة الإخلاص.. قال: و نحن إنما قصدنا التنبيه على كلامه لئلاّ يغترّ به من لا يفهمه، و أمّا هو فله كلام صريح في الرد على الاتحادية كما قال في كتاب خصائص التصور الإسلامي ...)

ثم ساق كلامه هناك.. وتأمّل هذا المقصد الحسن من الشيخ حين بيّن أنه نبّهَ على كلامه لـــئلاّ يغترّ به من لا يفهمه..

و بالمناسبة فإنّ الشيخ الدويش كثيراً ما يقول في كتابه : (فإن كان يقصد كذا ...) .. ثمّ يبيّن ما يحتمله الكلام من خطأٍ أو صواب ..وهذه الطريقة سلكها غيرُ واحدٍ من المؤلّفين في الردود كما ترى ذلك جليّاً في كتابات شيخ الإسلام في (الاستقامة) و غيرها.. و الله المستعان..

٧) ثمّ لي تنبيه آخر على ما ذكرتموه من أنّه كان يقول بهذه العقيد زمـــنَ شـــيخوخته عـــام ١٩٤٦أو ١٩٤٧ فـــأقول: هـــذا عجيـــب !! فـــالمعروف أن ســـيداً ولـــد عـــام ١٩٠٦ فيكون سنّه حينذاك ٤٠ عاماً فكيف يكون زمن شيخوخة..

وأقول أولاً: إلى السادة المشرفين على منتدى أتباع المرسلين في موقع ابن مريم الإليكتروني قبل كل شيء .. وأقول ثانياً للسادة الأعضاء والزوار:

أن الشيخ سيد قطب بشر مثلنا مثله يصيب ويخطئ...

وقبل كل شيء فنحن ندافع عن الحق لا غير.. فلو كان سيد يقول بوحدة الوجود لقلنا صدق جناب القس..أما وان يكون الكلام غير صحيح أو مفسرا على غيرمايعنيه سيد قطب فيجـــب علينا الدفاع عن شهيد ضحى بنفسه لوجه الله ومن اجل لا اله إلا الله..

وخصوصا إننا لا ندافع عن عمى بل نأتي بالأدلة الجلية الظاهرة الواضحة التي تدمغ الباطل .. فنأتي بأقوال سيد قطب لنرى هل قال بوحدة الوجود ؟؟..

وهذا هو نقاشنا بالحكمة والموعظة الحسنة مع كاتب المقال سواءً أكان جناب القس أو احد طلابه أو غيرهم من المسلمين..

يقول سيد قطب :

١ــ والنظرية الإسلامية: أن الخلق غير الخالق، وأن الخالق ليس كمثله شيء... ومـــن هنـــا تنتفي من التصور فكرة وحدة الوجود....أي بمعنى أن الوجود وخالقه وحـــدة واحـــدة، أو أن الوجود إشعاع ذاتي للخالق، أو أن الوجود هو الصورة المرئية لموجده، أو على أي نحو مـــن أنحاء التصور على هذا الأساس.ــ في ظلال القرآن مجلد (٦٠١/ ١) ــ .

وهل بعد هذا الكلام الصريح تقول يا جناب القس أنت وطلابك أن سيد يقول بوحدة الوجـــود !!!!

ونكمل المشوار ويقول رحمه الله :

٢ــ يقوم التصور الإسلامي على أساس أن هناك إلوهية وعبودية... ألوهية يتفـــرد بهـــا الله سبحانه ، وعبودية يشترك فيها كل من عداه وقل ما عداه.

وكما يتفرد الله ﷻ بالأولوهية ، كذلك يتفرد تبعا لهذا بكل خصائص الألوهية ، وكما يشترك كل حي وكل شيء بعد ذلك في العبودية ،كذلك يتجرد كل حي وكل شـــيء مـــن خـــصائص الأولوهية.. فهناك إذن وجودان متميزان. وجود الله ، ووجود ما عداه من عبيد الله ، والعلاقة بين الوجودين هي علاقة الخالق بالمخلوق وإلاله بالعبيد. ــ خصائص التصور الإسلامي ص ١٩٠ ــ .

أرأيت إذن: إن عبارة نصه تقول: فهناك إذن وجودان متميزان ، وجود الله ، ووجود ما عداه من عبيد الله ، والعلاقة بين الوجودين هي علاقة الخالق بالمخلوق والإله بالعبد. هل بقي قول لقائل أن يدعي بأن سيد قطب يخلط بين الله وبين عبيده وأن الله قد تجلى في صور مخلوقاته ، وأن الخالق والمخلوق شيء واحد لا فرق بينها ولا تمايز .

وماذا تقول يا جناب القس !!!! هل قائل مثل هذا الكلام يقول بوحدة الوجود ؟؟؟؟...

ونواصل مع سيد قطب

ويقول رحمه الله :

٣ــ إن كل ما يتعلق بالحقيقة الإلهية– وهي قاعدة التصور الإسلامي– ثابت الحقيقة , وثابـــت المفهوم أيضا , وغير قابل للتغيير ولا للتطوير :

حقيقة وجود الله وسرمديته ووحدانيته بكل إشعاعاتها وقدرته وهيمنته وتدبيره لأمر الخلـــق , وطلاق مشيئته .... إلى أخر صفات الله الفاعلة في الكون والحياة والناس...وحقيقة أن الكون كله –أشياءه واخياءه – من خلق الله وإبداعه . أراده الله – سبحانه وتعالى – فكان . ولـــيس لشيء ولا لحي في هذا الكون , أثارة من أمر الخلق في هذا الكون ولا تدبيره ولا الهيمنـــة . ولا مشاركة في شيء من خصائص الإلوهية بحال.. ــ خصائص التصور ص ٧٧ــ.

ويقول رحمه الله

٤ــ وهكذا يتعامل التصور الإسلامي مع كونٍ له وجود واقعي . يختلف بطبيعة الحال عـــن وجود الله سبحانه ــ الخصائص ص ١٧٨ــ

٥ــ والله سبحانه تعالى عن الشركة ، وتعالى عن المشابهة ، ومقتضى كونه خالقا يـــستتبع – بذاته– أن يكون غير الخلق ، وما يملك إدراك أن يتصور إلا هذا التغاير بين الخالق والمخلوق ، والمالك والملك. ــ في ظلال القرآن ص٦١٨ المجلد٢ ــ.

إلى جناب القس هداه الله:

أسألك بالله هل قرأت كل ما كتبه سيد قطب .. هل حاولت أن تجمع بين أقواله ؟ .

إن من يقرأ كتب سيد يعتقد اعتقادا جازما بأنه لا يعتقد بوحدة الوجود كما يعتقدها الصوفية وغيرهم ...

فيا جناب القس

كان الأولى بك قبل أن تتهم سيد قطب بالقول بوحدة الوجود أن تقرأ له أولا ثم بعد ذلك: تقدم المنطوق الصريح له على المنطوق غير الصريح ، وتقدم المفسر من قوله على القول المبهم له ، وتقدم بالترجيح المنطوق على المفهوم ، وتقدم عبارة النص على إشارة النص هذه من القواعد الأساسية في علم الأصول للخروج بأحكام) .

فإذا تعارضت النصوص لا بد من الجمع أولا ثم النسخ ثم الترجيح فهل حاولت أن تقرأ تفسير جزء واحد من ثلاثين جزءً من ظلال القرآن حتى تحكم على الرجل.

إن سيد قطب لم يقل: (إن كل ما تراه بعينك فهو الله)، وهذه المخلوقات التي يسميها أهل الظاهر مخلوقات ليست شيئا غير الله.

ونحن قد نجد في الظلال وغيره بعض الألفاظ التي قد تحتاج إلى دقة أكثر لتتفق مع المصطلحات الشرعية في العقيدة الإسلامية ، وهذا لا بد أن يكون مادام بشرا يخطئ ويصيب.

أما: أن يصل بنا الأمر أن ننسب إليه تلك العقيدة الفاسدة الضالة وهي :القول بوحدة الوجود.

هذه القولة التي تكاد تخر لها الجبال هدا ، سبحانك يا رب هذا بهتان عظيم ، إن وحدة الوجود تعني أن الخالق والمخلوق شيء واحد ، وأن الأثر هو المؤثر وأن الصانع قد ظهر في المصنوع لا انفصال ولا تباين.

إن وحدة الوجود تعني أن الحجر هو الله ، وأن الصحن هو الله ، وأن الحيوانات هي الله ، فلم يعد هنالك فرق بين من عبد الحجر والصنم والشمس وبين من يعبد الله ، لأنها كلها صور لشيء واحد هو الذات الإلهية (تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا) ، هل يصدق عاقل أن سيد قطب كان يعتقد أن عبد الناصر هو الله ، وأن حمزة البسيوني وشرطته هم صور الله ، وأن صفوت الروبي الجلاد هو الله وأن لا فرق بين من يعبد بن جوريون ودايان ، وبين من يعبد الرحمن ، هل يصدق ذو لب أن سيد قطب كان يعتقد أن السجن الحربي هو الله ، أو يدخل في عقل عاقل أن سيد قطب كان يظن أن الشجر والحجر والقرد ، و الخنزير والكلب صور لله عز وجل ــ سبحانك يا رب! إنها لإحدى الكبر ــ.

ومن قرأ ما كتبه سيد مما نقلناه من كتبه يعتقد اعتقادا جازما أن سيد قطب مسلم وانه لم يقل بوحدة الوجود..

ولكن يا ترى ما هي الوحدة التي كان يعنيها في بعض كتاباته واخذ يفسرها البعض على هواه أو فسرها بدون الاطلاع على باقي أقواله في نفس الكتاب حول تلك النقطة.؟؟؟؟...

إن وحدة الوجود في نظر سيد قطب هي وحدة صدروه عن الإرادة الواحدة الخالقة..فهو يصور ذلك بأنك لا ترى في الكون إلا الله ويعني بذلك إبداع الله قدرة الله عظمة الله وهي تتجلى في هذه المخلوقات... وحاشاه أن يعتقد انه هو الله وان هذه المخلوقات هي الله... ولكنه يصور للناس أن كل ما تراه في الكون من الله ومستمد من وجود الله أي لا أساس له وهو وجد محدثا... فكل شيء يستمد وجوده من المسبب الأول الله سبحانه وتعالى..وحدة الخالق.. لا وحدة المخلوق بالخالق...

والواقع أن هذه الفرية على الشهيد سيد قطب لم ينادي بها جناب القس وحده وإنما هي كانت مما لصقها به بعض الأقلام الحاقدة عليه ولقد انبرى فضيلة الشيخ عبد الله عزام رحمه الله للرد على أحد هؤلاء الذين اتهموا الشيخ سيد باعتناقه لعقيدة وحدة الوجود هكذا :

كان الأولى:

١ــ أن يجمع بين النصوص لسيد قطب: فيحمل المجمل على المبين، والمبهم على الواضح.

٢ــ أو يلجأ إلى النسخ: فسورة البقرة التي كتبها سيد في الطبعة الثانية بعد سورة الحديد والإخلاص ، لأنه لم يصل إليها في الطبعة الثانية بل وصل إلى الجزء الرابع عشر فقط في الطبعة الثانية.

٣ــ أو يرجح بين النصوص المتعارضة لسيد فيرجح عبارة النص (في سورة البقرة) على إشارة النص في السورتين (الحديد والإخلاص) ويرجح المنطوق الصريح (في مهاجمة وحدة الوجود) على المنطوق غير الصريح في السورتين .

ويرجح المنطوق الصريح في سورة (البقرة والنساء) أن مقام العبودية غير مقام الألوهية وإنهما متمايزان بلا امتزاج، على المفهوم الوارد في سورتي (الحديد و الإخلاص).

.....

فهل بعد كل هذا تنسب نيافتك إلى سيد رحمه الله القول بقول كفري عظيم ينفيه في عدة مواضع متفرقة من كتبه .

....

إن عدم فهمكم لما يعنيه لا يعني أن لكم الحق بتفسيره كيفما تشاءون..

بل كان الأولى أن تتراجعوا إلى صريح ما قال بدلا من أن تفسروا أقواله كما تشاءون ... فهو من يفسر قوله ....

ومن هنا فإننا بعد أن رأينا الحق ساطعا أمام أعيننا... فإننا لا نملك إلا أن ندعوك يا جناب القس وكل من اتهم سيد قطب بالقول بوحدة الوجود لإعلان توبتكم من هذا الظلم العظيم لرجل

نحسبه شهيداً والله حسيبه، وان تعلنوا للملأ براءة سيد قطب من القول بوحدة الوجود فانتم من كبار من روج لهذا الادعاء على صفحات الإنترنت وعلى مواقعكم المشبوهة، ولا شك أن لكم نصيب كبير من هذا الادعاء وهذه التهمة التي ثبت أن سيد قطب بريء منها براءة الذئب من دم يوسف..

فأنا لا أدعوك إلى الإسلام ولكنني أجادلك بالتي هي أحسن امتثالاً لأمر ربي..

ولعن الله من رأى الحق أبلجاً وراح يتبع هواه..خصوصا فيما يتعلق بادعاء أن سيد قطب رحمه الله قد قال بوحدة الوجود ... وقد ثبتت براءته منها للجميع.....

وبعد

أيصح بعد هذا أن ينسب القول بوحدة الوجود إلى الأستاذ سيد الذي جلي حقيقة التوحيد من كل غبش ، بل ركز معظم كتاباته على شرح معنى " لا إله إلا الله " ، ونقل المعنى النظري للتوحيد إلى واقع حي متمثل في سلوك وحركات ، ودماء وتضحيات ، ولقد كانت حياته المليئة بصور الاعتزاز بالله ، والتوكل عليه والالتجاء إليه خير شاهد على أن توحيد الربوبية - التوحيد العملي والنظري في القلب والنفس ، توحيد المعرفة والإثبات – قد جمع معه توحيد الإلوهية – التوحيد العملي بالفعل – في واقع الحياة مشاعر وشعائر وكلمات ومواقف ، حتى غدا المؤمن بهذا التوحيد كالشم الرواسي لا يزعزعه قوى الأرض ، ولا يهزه جبروت الطغيان

فالحق أبلج ....

فالله الله في رفع الظلم عن كل مسلم....

والله الهادي إلى سواء السبيل....

أعده المهندس زهدي جمال الدين محمد؛؛؛؛...